اما ما زعمهُ دارڤيو وڤولناي ولامرتين وتشرشل وغيرهم من ان فخر الدين غرس غاب الصنوبر في ضاحية بيروت فلا صحة لهُ بدليل ما أثبتهُ العلَّامة المطران يوسف الدبس في كتاب سفر الاخبار (ص ٢٥) عن رحلة المسيو ميسلن وما حققهُ الاب لامنس في السنة الاولى من مجلة المشرق صفحة ٩٣٩ من ورود ذكر هذا الغاب في القصيدة الثانية والاربعين من قصائد الشاعر اليوناني نتوس الذي نبغ في القرن الرابع للميلاد ومن ذكرهِ في جغرافيا الشريف الادريسي المتوفى في الربع الاخير من القرن الثاني عشر ومن التنويه بهِ في مؤلف ولبم الصوري وصالح بن يحيى التنوخي صاحب تاريخ بيروت كل ذلك يدل على وجود الغاب قبل زمن فخر الدين ويحمل على الظن بانهُ ربما كان ذلك الامير قد بذل في حفظهِ شيئاً من عنايتهِ او زاد على اغراسهِ بعضاً في المواضع الخالية كما فعلت الحكومة المصرية في زمانها

فجديرٌ بمن كانت هذه صفاتهُ من الامراء ان تزدحم على بابهِ الشعراء وان يمدحوهُ بمختارات القصائد فقد أثر الحبي انهُ اطلع على مجموعةٍ من الشعر تبلغ المئة صفحة قيلت كلها في مديحهِ

ولما ضُبطت املاك فخر الدين انعم السلطان بها على احمد باشا الكجك فشرع هذا يتقب عنها ويبحث عن انصار المعنيين لينكل بهم فاخذ كثيرون من الكبراء حتى لم يستطع اساقفة الطائفة المارونيَّة ان يجتمعوا في اليوم التاسع لوفاة البطريرك يوحنا تخلوف الاهدني على مألوف عادتهم

جرجي يني

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ٣٦ ﴾ الطلاق

وكانت سنَّة الطلاق معروفة في الجاهلية قال زيد بن عمرو بن نفيل

تلك عرسي تنطقان على عم ... ـدٍ الى اليوم قول زور وهُجْر (١)
سألتاني الطلاقَ ان رأتا ما ... لي قليلاً قد جئتاني بنكر

وقال عبدالله بن العجلان

طلقت هندًا طائعًا ... فندمت عند طلاقها
فالعين تذرف دمعة ... كالدرّ من اماقها
خود رداح عفة ... ما الفحش من اخلاقها

(١) الكذب

وكانوا في الجاهلية يطلقون المرأة ثلاثاً حتى تبين عن زوجها فلا يعود لهُ رجوع اليها فكان الرجل متى اراد طلاق امرأتهِ قال لها انت طالق واحدة فيكون حينئذٍ احق الناس بها فان طلقها اثنتين فكذلك فان طلقها ثلاثاً كان لا سبيل لهُ عليها

وكان الاعشى قد تزوج امرأة ثم احب اهلها خلعها منهُ فتهددوهُ ان لم يطلقها فقال

ايا جارتا بيني فانكِ طالقه كذاك امور الناس غادٍ وطارقه

فقالوا ثَنِّ فقال

وبيني فان البين خير من العصا والاَّ تزال فوق رأسيَ بارقه

فقالوا لهُ ثلِّث فقال

وبيني حصان الفرج غير ذميمة وموموقة فينا كذاك ووامقه

ولنا ان نستنتج مما قدمناهُ ما يأتي (اولاً) ان امر الطلاق كان بيد الرجال ولكنَّ النساء كنَّ قادرات على طلبهِ من رجالهنَّ (ثانياً) ان الرجل كان لهُ ان يطلق لغير علة (ثالثاً) ان الرجل كان يتزوج باكثر من امرأة. على ان من تتبع منثور الكلام والحديث يجد على ما ذكرناهُ زيادات

﴿٣٧﴾ تزوج الرجل امرأة ابيهِ

وكان بعض العرب يتزوجون نساء ابائهم قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فلولا اخوتي وبنيَّ منها ملأت لها بذي شطب يميني

وقال زيد بن عمرو بن نفيل مشيراً الى الخطاب والد الامام عمر

واخي ابن امي ثم عمـ ـي لا يؤاتيني خطابهُ

وقولهُ هذا يدلُّ على ان اباهُ اخذ امرأة جدهِ فجاء هو اي زيد اخاً لعمهِ وزيد بن عمرو بن نفيل قرشي فهو من الحجاز وعمرو بن معدي كرب زبيدي فهو من اليمن فيكون الزواج بنساء الآباء وارداً في تاريخ الحجازيين واليمنيين وبالتالي في تاريخ القحطانيين والعدنانيين. نقول وارداً ولا نقول جائزاً عندهم جميعاً لما بين الوقوع والعرف من الافتراق فقد ذهب معظم من فسَّر قول عنترة

يا شاة ما قنصٍ لمن حلَّت لهُ حُرِمت عليَّ وليتها لم تحرُمِ

الى ان اباهُ كان قد تزوج بها فحرمت عليهِ. وكان من خلف اباهُ على امرأتهِ سمي ضيزناً. ونستنتج من قول اوس بن حجر

والفارسيَّة فيهم غير منكرةٍ فكلهم لابيهِ ضيزن سلف

ان هذه العادة اتت الى بعضهم من جوارهم لفارس ولنها ليست بمحمودة لان العرب كانوا راغبين عن عادات الامم الاخرى

وللزواج وللعائلة في عصر الجاهلية بحث طويل ربما افردت لهُ مقالة خاصّة لان تمحيص هذا البحث يحتاج الى الاستشهاد بما ليس بشعر وهو خروج عما تابعتهُ في هذا المقالة (منزلة الشعر من التاريخ)

﴿٣٨﴾ الانفال

وكان الظافر في القتال يبتدر بعد تبديد شمل العدو الى جمع الاسلاب فينزع عن القتلى ما عليهم من الثياب والاسلحة . قال عمرو بن ثعلبة في رسالة لهُ الى الملك عمرو بن هند

ان ابن عجزة امهِ بالسفح اسفل من اوارهْ (٣)
تسفي الرياح خلال كشـ حيهِ وقد سلبوا ازارهْ (٣)

وكان زعيم القوم هو الذي يقسم السلب بينهم قال عنترة

ونشرتُ رايات المذلة فوقهم وقسمت سلبهم لكل غضنفر

وكانت قسمة السلب انفالاً قال عنترة ايضاً

انّا اذا حمس الوغى نروي القنا ونعفّ عند تقاسم الانفالِ

وكانت الانفال ليست سواء ولذلك شكا العباس بن مرداس حينما قسمت الانفال بين جماعة كان منهم العباس وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس فاخذ اربعين واخذ كل من عيينة والاقرع مئة فقال

اتجعل نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والاقرعِ
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمعِ
وما كنتُ دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفعِ

﴿٣٩﴾ رقة النعل

واتخذوا رقة النعل دليل السعة واليسار بل دليل سمو الشأن قال النابغة الذبياني

رقاق النعال طيّب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسب (٤)

---

(٣) العجزة آخر ولد الرجل او آخر ولد المرأة واوارة محل

(٤) سفت الريح الشيء ذرته والمراد هنا انها تهب في خلال كشحهِ

(٤) قال التبيي : "رقاق النعال اراد انهم ملوك لا يخصفون نعالهم . والحجزة الوسط اراد انهم يشدون ازرهم على عمة ويوم السباسب يوم الشعانين وهو يوم عيد عند النصارى" آ. عن شرح ديوان النابغة

وقال الفرزدق

بنو هاشم قومي ترى حجراتهم عتاقاً حواشيها رقاقاً نعالها
يجرون هداب اليماني كأنهم سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

كما استحسنوا التلسين قال كثير عزة يمدح بني امية

اشم من الغادين في كل حلة يبسون في صبغ من العصب متقن (٥)
لهم اثر حمر الحواشي بطونها باقدامهم في الحضرمي الملسن (٦)

وقال ايضاً

اذا حال العصب اليماني اجادها اكفٌ اساتيذ على النسج درّب
اتاهم بها الجاني فراحوا عليهم تواثم من فضفاضهنّ المكعّب (٧)
لها طرر تحت البنائق اذ نبت الى مرهفات الحضرمي المعقب (٨)

وهذه الاقوال حجة على ان من العرب من كان يستجيد ارسال الذيول في لباس الرجال وقد فاتنا ذكر ذلك في باب اللباس

وجاء لعنترة العبسي في معلقته

بطل كأن ثيابهُ في سرحةٍ يحذى نعال السبت ليس بتوأم

فقال الشراح انهُ اراد بكونهِ يحذى نعال السبت انهُ ملك او شريف والسبت الجلد اللين او جلد البقر المدبوغ بالقرظ

﴿ ٤٠ ﴾ الموائيق

وكانت العرب اوفى الناس ذمة واصدقهم عهداً واخاء قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم شدّوا العناج وشدّوا فوقهُ الكربا (٩)

وذكر النابغة الذبياني حلف قومهِ فقال

فلتأتينك قصائد ولَيدفعن جيشاً اليك قوادم الاكوار (١٠)

---

(٥) العصب ضرب من البرود

(٦) الحضرمي النسبة الى حضرموت . والملسن الذي جعل طرفهُ كطرف اللسان

(٧) الفضفاض الواسع . والمكعب المربع

(٨) البنائق جمع بنقة وهي لبنة القميص . والمعقب المعوج

(٩) العناج ان تفتل السلوفيعقد تحتها حبل ثم يشدّ الى الرسن والى العراقي وهي الخشبات الاربع والكرب الحبل الذي يشدّ فوق العراقي . وفي هذا القول استعارة تمثيلية وهو مثل ضربهُ يريد انهم اذا عقدوا عقداً لجارهم احكموهُ

(١٠) قوادم جمع قادمة وهي مقدمة الرحل والاكوار جمع كور وهو الرحل

رهط ابن كوز محتبي ادواعهم فيهم ورهط ربيعة بن حذارِ (١)
ورهط حرّاب وقدٍ سورة في المجد ليس غرابها بمطارِ (٢)
وبنو قعين لا محالة انهم آتوك غير مقلمي الاظفارِ (٣)

ثم يذكر بني سواة وبني جذيمة والفاضريين وبني دودان وبني بغيض (٤) وقال انهم كلهم حلف واحد

فوجود المواثيق بين القبائل والاحياء دليل على وجودها بين الملوك ايضاً بل قد ورد في خلال شعر النابغة ان ملوك الاقوام هم الذين كانوا يعقدون المواثيق اذ يقول

وبنو سواة زائروك بوفدهم جيشاً يقودهم ابو المظفارِ

وابو المظفار كان ملكاً في قومهِ

﴿ ٤١ ﴾ بياض الوجه

كانوا يعتبرون البياض لون السادة لعدم تعرّضهم للشمس قال امرؤ القيس الكندي

ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم بيض المسافر غرّانُ (٥)

وقال حسان بن ثابت في مديح الملوك آل جفنة

بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاوّلِ

وهذا البحث كثير الشواهد فاكتفي منهُ بما ذكر . انتهى امين ظاهر خير الله

الملاريا في حلوان

ليس المراد من هذه السطور ان اشغل بال القراء بما يولد فيهم الاوهام ويحملهم على الظن ان جو حلوان الذي اشتهر بالصفاء وجودة الهواء قد اكفهرّ بغيوم الامراض لاني اعتقد مثل غيري ان حلوان لا تزال البلد الذي يضرب بهِ المثل في حسن الموقع وجودة الهواء . وانما المراد تنبيه الافكار وتوجيه النظر الى مسألة عليّة . فارجو ان لا تحمل مقالتي هذه الّا على هذا المحمل . ولا ريب عندي ان كل لبيب يقول معي انهُ ايسر للانسان ان يعرف العدو

---

(١) كوز من بني مالك بن ثعلبة وربيعة بن حذار من بني سعد . والمحتبون ادراعهم هم اتخذوها كالحقائب

(٢) وحراب وقد من اسد . وسورة في المجد اي اعتلاء . ليس غرابهم بمطار كناية عن الخصب وكثرة الخير

(٣) وبنو قعين هي من اسد . وغير مقلمي الاظفار اي مسلحين

(٤) وبنو دودان والفاضريون من اسد وبنو جذيمة من كلب بغيض ابو عبس وذبيان

(٥) اراد بالثياب الاعراض . ومسافر الوجه ما يظهر منهُ والغران جمع اغر وهو هنا الحسن